

الذي يتخلل لحمة النسيج العام ، ويتمثل في اختيار نظم تلك المادّة اللغوية المتجمّعة على نسق تتكامل فيه الخصائص النوعية للألفاظ مع المميزات العامة لبنية الكلام بحيث تصبح الرّسالة اللغويّة مطبوعة أسلوبياً من وجهتين : وجهة الألفاظ كأجزاء فردية في عملية الخلق الأدبي ووجهة تركيب تلك الأجزاء في صلب البنية اللسانية العامّة للنصّ، وعلى هذا الأساس تزدوج الخصائص النوعية للأسلوب فتكون السمة الأساسيّة المميّزة له هي مطابقة جدول الاختيار لجدول التوزيع في عملية البثّ الفنّي، وهذه الظاهرة هي التي يلح عليها كل الأسلوبيين المعاصرين ممّا يجعلهم يعرفون الأسلوب بأنّه الانتظام الدّاخليّ لأجزاء النصّ في صلب علاقات متألّفة تحدّد لها نوعيّة بنيته اللسانية وهو التعريف المفصليّ إلى اعتبار الأسلوب المحلّ الهندسي لنقط تقاطع محورين اثنين : أحدهما عموديّ وهو محور الاختيار وثانيهما أفقيّ وهو محور التوزيع .

ولقضية النّظم هذه أثر واضح في تحديد مفهوم الجاحظ للأسلوب رغم ما يتبادر من تعلّقه الظاهريّ بشكل الألفاظ وتفضيله مقاييس انتقائها على كل المقاييس الأخرى ولم يعتن الدّارسون لنظرية الجاحظ في البلاغة بشيء عنيتهم بشائيّة اللفظ والمعنى عنده (٢٢) .

وأول ما تتجلى فيه هذه النّظرية في «البيان والتّبيين» هو

(٢٢) انظر : عبد العزيز عتيق : تاريخ البلاغة العربية ، ص ٧٦ ، ص ٨٣ .

محمد زغلول سلام : تاريخ النقد العربي ، ص ٦٧ .

إحسان عباس : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص ٤٢٣ - ٤٢٥ .